الوسطية
مشروع الإنسانية الحضاري

الأستاذ نهاد المشنوق

الوسطية في الإعلام

صاحب السماحة

السادة الحضور

نسجل أولاً لدولة الرئيس نجيب ميقاتي جهده ورعايته لمنبر جديد للحوار الديمقراطي في الشمال، زاد الخير للمسلمين عدداً وعدة، والحصن الدائم للبنانيين على تنوعهم ديناً وسياسة. وأسجل أيضا إنني عندما سمعت كلمة الأب أنطوان ضو تذكرت البناة والمؤسسين لوطن عادل ومنطقي، وعاقل يسوسه عقلاء يستطيعون أن يصلوا في أزماتهم دائماً، إلى طاولة حوار والى نتائج عملية وجِدّية لسبل حياتهم اليومية والدائمة، فَتَحيّة للأب ضو على كلامه .

لقد أجمع العلماء، وليس آخرهم النقيب الصديق رشيد درباس، والذين تحدثوا عن الوسطية الدينية قبلي وبعضهم عن الوسطية السياسية بحثاً وشرحاً لا أرغب ولا أستطيع منافستهم فيها.

•الصحافي الأستاذ نهاد المشنوق – المستشار الإعلامي السابق للرئيس الشهيد رفيق الحريري.

أنا سبق أن قرأت في الكتاب الذي صدر عن جمعية العزم والسعادة، والحقيقة هو جهد مشكور، فيه تعريفات عدة للوسطية، فالعلامة الدكتور يوسف القرضاوي يقول في أحد تعريفاته: أن الوسطية هي التيسير في الفروع، أي إن تيار الوسطية يتشدد في الأصول والثوابت ولا يتهاون فيها، وبهذا نرى أن الوسطية أبداً ملازمة للتيسير والتبشير وكل من يتبنى المنهج الوسط يتبنى معه، لا محالة ،منهج التيسير والتبشير .

أمين عام المؤتمر الإسلامي الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو يقول إن هناك تحديات كثيرة أمام الوسطية في الأمة الإسلامية وهي عديدة ومعقدة، أولها التعليم والثقافة، ثم في علاقة الأمة بالاقتصاد العالمي، ثم في المشكلة الدائمة أي الديمقراطية والحكم الرشيد، ثم في حقوق الإنسان، ثم يتحدث عن التيارات التكفيرية وخطرها، ويعتبر الدكتور أوغلو أن الوسطية هي ثقافة التسامح وأن ما ينقصها هو التشجيع عليها وتبنّي تعريف واضح للجهاد للتمييز بينه وبين الإرهاب .

دولة الرئيس ميقاتي يقول: إن الوسطية هي الواقعية في السياسة دون تفريط، واليسر في الدين دون تخلٍّ ولو بالقول حين يستحيل الفعل. وإذا راجعنا كل هذه التعريفات نصل إلى مزيد من الارتباك حول دور الوسطية وليس تعريفها، فليس المهم أن تتعرف إلى الوسطية بل المهم أن تستفيد منها في مجتمع كالمجتمع اللبناني قبل البحث في شؤون الأمة .

وأقول إن المرء لا يعرف الوسطية في نفسه إلا حين يقرأ عنها باحثاً عن حقيقتها مدققاً في حيثياتها، إذ أنني تعودت في سنوات متابعتي للشأن العام على مصطلحات الاعتدال والتسامح باعتبارهما سلوكاً اجتماعياً، أو حتى عاماً يصنع -لمن يتبعه- صورة حسنة بين الناس، وليس بيننا من ينكر رغبته

في أن تكون صورته حسنة بين الناس، لكن الوسطية مسألة أخرى فهي ليست وساطة بين طرفين بصرف النظر عما إذا كانا مختلفين أو متفقين، ولا تنازل بين حقين، أي أنك تأخذ من حق فلان لكي تعطي فلان مزيداً من الحق لكي تستطيع أن توفق بينهما.

فأنا أرى في الوسطية موقفاً يعترف بالحق لصاحبه، ويدين الخطأ بمرتكبه، إنما بأسلوب يجعل من قوله مقبولاً إذا لم يكن لصاحب الحق أو مرتكب الخطأ، فالتأكيد لجمهور المستمعين سواء أكانوا من مناصري الأول أو من متشددي الطرف الثاني. وهذا الموقف يحتاج إلى مصداقية لا يمكن تحقيقها إلا بالتراكم خبرة وقدوة، ولا يمكن تحقيقها بأن تقول على نفسك أم يقول عنك الناس أنك وسطي أو إن لك رأياً وسطياً. قبل أن تصل إلى هذه المرحلة يجب أن تكون قدوة للناس ، سيما أن ليس من أحد فينا وليّاً من أولياء الله، وليس بالضرورة أن تكون قدوة لكل الناس أو الكثير من الناس أو مجموعة محددة، فهذا لايتم إلا بالوقت . ولا يستطيع أحد أن يقول فجأة أنا وسطي وبالتالي تفضلوا لنناقش فكرة إما أن تمشوا معي فيها أو نختلف عليها.

الناس ببساطة تتعامل مع التراكم بطريقة أفضل بكثير من تعاملها حتى مع المفاجآت السارة، وهذه الفكرة تحتاج إلى شجاعة لا توحي الوسطية تعبيراً ولا تصرفاً أنها تملكها على الأقل في لبنان .

لمصر تجربة أخرى عبر عنها طويلاً وبنجاح الأستاذ منتصر الزيات في فترات من أصعب فترات الحوار في مصر، وهي فترات انقلابية، والواقعة بين التكفير والاستقرار، وقد دفعت مصر ثمنها اغتيالات سياسية وحالات اضطراب ولكن بالنتيجة الدولة هي التي أمسكت الأمر.

والآن في مصر هناك حوار مضطرب من هذا النوع وربما أقسى مما

عرفته مصر في السنوات العشرين الأخيرة على الأقل، ولم يكن الأستاذ زيات وحده، وكان حوله الكثيرون من دعاة الوسطية الذين امتلكوا في مصر في ذلك الحين حتى اليوم شجاعة الدفاع عن رأيهم يومياً، مهما كان رأي الآخرين بهم، وليس أسهل من الشجاعة أيام الرخاء والاستقرار، وليس أصعب منها في زمن الاصطفاف والعصبيات والتكفير والإلغاء. ونحن في لبنان منذ أكثر من ثلاثين عاماً نعيش حالة أزمات دائمة واصطفاف دائم لعصبيات دائمة وإلغاء دائم للآخرين.

استخدم النقيب درباس وقائع قاسية لا أوافقه عليها وانا أيضاً لا أوافق على أن هناك دولة تستطيع أن تستفيد مثلاً من استثمار العلاقات الخارجية لجهة من الجهات السياسية في البلد، وهذا المنطق لا يؤدي إلى بناء دولة، لذلك اعذروني إذا قلت إن هناك الكثير من الوسطيين بين اللبنانيين وإن القليل منهم عنده شجاعة الدعاة العلني لدعوتهم، وأتمنى أن يكون هذا المؤتمر مناسبة أو بداية لتشكيل تيار جدي له هيكلية وله قدرة دائمة على مخاطبة الناس، وأتمنى على الرئيس الميقاتي الذي راكم بلا شك، أن يكمل المسيرة فهو أصبح في منتصف الطريق، وهو مهما راكم من مصداقية و من شجاعة على الأقل رغبة في الشجاعة بقول الرأي، كلما تكاثر الناس حول هذا التيار كلما زادت القدرة على الشجاعة في وجه الاصطفاف والإلغاء والتشويش .

وبعد، أريد أن أتحدث في السياسة المباشرة بدون استعمال سلبيات صفة الوسطية، فهناك صراع في المنطقة على رأسه لبنان، لسوء الحظ هو أضعف حلقة فيها، بينما يمكن تسمية مشروع الشرعية الرسمية العربية، ومشروع سياسي آخر ترعاه الدولة الإيرانية سياسة ودعماً ومالاً وسلاحاً .

يسبب هذا الصدام إذا صح التعبير انقساماً في المجتمعات العربية على ثلاث مراحل، الانقسام الأول هو الانقسام الديني بمعنى أن التقليد

عند إخواننا المسلمين الشيعة أصبح سياسياً ملزماً بأن يكون لولاية الفقيه، وهذا نص دستوري في إيران، ومن لا يوافق على هذه الولاية، فهو يوافق على الأقل على الدور السياسي للفقيه، وبالتالي يقلد الآخر ولكنه يلتزم سياسياً بالفقيه، وهذا داخل الطائفة الشيعية نفسها.

والانقسام الثاني هو داخل المجتمعات العربية بين طوائفها، فالشيعة العرب يتصرفون الآن -بعضهم طبعاً ولا شيء بالتعميم- بأنهم مجموعة عندها مشاكل داخل دولتها ، وباستطاعتها أن تنتصر برعاية خارجية عنوانها ديني لإصلاح الوضع الداخلي إذا كان هناك مشكلة، وأنا لا أدّعي الخبرة بدول الخليج بشكل دقيق، ولكن يبدو أن هناك انقسامات بالكويت والسعودية والبحرين وربما في دول أخرى، وهذا الانقسام الثاني.

وهناك انقسام ثالث سياسي، فالشرعيات العربية بصرف النظر عن رأي الحاضرين أخذت على عاتقها سياسة التفاوض وسيلة لتحرير الأراضي المحتلة، وهناك سياسة أخرى يرعاها هذا المشروع تقول إن المقاومة المسلحة هي الوسيلة الأولى والوحيدة لتحرير الأراضي المحتلة، وقبل ما يُساء تفسيري وبرأيي الشخصي لا يوجد فائدة من المفاوضات، وأعتقد أن المقاومة المسلحة التي بدأت في لبنان يجب أن تكون هي البداية ويجب أن تستمر لا أن تكون النهاية، ولا يجب أن يستفرد لبنان سواء بقداسة المقاومة أو بخسائر الحروب ولا نريد القداسة وحدنا ولا الخسائر .

والذي أريد أن أقوله إذا كان هناك انقسامات ثلاثة يسببها هذا المشروع الذي سكّر فراغاً اسمه العلم الفلسطيني وجاء إلى منطقة الصراع الفلسطيني فيها، لا يقوم بواجبه أحد تجاهه، والمفاوضات لا تؤتي بنتيجة، وما العمل؟ وطبيعة الدنيا لا يستمر فيها الفراغ، وهناك دائماً هناك من يملؤه، والمشروع السياسي الإيراني بلا شك ملأ هذا الفراغ ولكن هل مسموح التناقش بأنه مقابل دعم فكرة المقاومة المسلحة لتحرير الأرض المحتلة، وهي محتلة فعلاً، حتى الآن بالنسبة الأكبر سوريا وبالنسبة الرمزية في لبنان

مقابل تعميق كل هذه الانقسامات في المجتمعات العربية؟ وهل يمكن أن نناقش هذا الموضوع دون أن نُتَّهم بأننا تخلينا عن الأرض أو نعمل لدى الأمريكان، أو كما قال النقيب درباس لم نعد نعرف من هو العدو وما هو الخطأ والصواب؟ والسؤال يكون في أين الوسطية من هذا الموضوع ؟؟ وهل الوسطية تقول بأن المقاومة حق مقدس وتدمير المجتمعات أمر طبيعي؟ وهل الوسطية تقول بأن إنقاذ المخيمات أو التخلي ولو مرحلياً عن الأراضي المحتلة هو وسطية؟ ليس عندي جواب ولا أدعي أنني أملك الجواب. والمؤكد أننا كلنا نحتاج إلى جواب. والانقسام الذي يحصل في المجتمع اللبناني الذي تحدث عنه الكثيرون وتحدث عنه النقيب درباس بشكل مفصل هو انقسام جِدِّي وخطير وله كل طبائع الانقسام حول كل المواضيع التي تبدأ بالمقاومة، تنتهي بالتعليم، وتذهب إلى تعيين قانون انتخابات، وتعمل قانون انتخابي مهين للبنانيين لا يعبر عنهم. وهذا الانقسام بدأ بأقدس قضية وينتهي بأصغر قضية تُحدث المزيد من الانقسام. فأين الوسطية من هذا الموضوع ؟ ولماذا عندما يناقشها أحد يُتهم بأنه عدو ويعمل لدى الأمريكان أو يُتهم بأنه صديق للإسرائيلي وغير ذلك.

وفي داخل المجتمع الإيراني ومع هذا الانتشار الخارجي هناك في إيران ٢٢ مليون تحت خط الفقر يعني يحصلون على أقل من مئة دولار بالشهر، ودولة لديها أكثر من ثلث شعبها تحت خط الفقر عندها دور سياسي كبير في الخارج عنوانه فلسطين؟ أمَا عندها همّ لدور سياسي يتعلق بوطنيتها ؟مع أنني لا أشك بوطنيتها فهي مارست وطنيتها في أفغانستان وساعدت على إسقاط الحكم هناك، ومارست وطنيتها في العراق وساعدت أيضاً على إسقاط الحكم فيه، وهذا ليس من الضروري أن يكون لصالحنا، وليس بالضرورة دولة الرعاية أن يكون التعيين السياسي هو فقط إما انقسام المجتمعات، وإما بأحسن الأحوال السعي مع الدول مثل السعودية على منع الفتنة المذهبية، وهذا الحد الأقصى للتوثيق السياسي الذي استطعنا الحصول عليه من أربع أو ثلاث سنوات، وكيف من الممكن أن تكون وسطياً في وقت لا يزال فيه دم

الرئيس الشهيد رفيق الحريري على الأرض وكل جمهور الرئيس الحريري يقول إن الجهة المعنيّة باغتياله سواء صح أو غلط هي سوريا، وهناك فريق آخر ليقول في السياسية نحن نحيّي سوريا قيادة وشعباً ومؤسسات وجماهير فأين الوسطية ؟ وهي أن تقول هذا خطأ، وهذا يحتاج إلى دليل، ومَن الذي يقوم بهذا في لبنان ؟ وليس هناك من أشار إلى أن هذا خطأ لا شيخ ولا راهب ولا مطران ولا محامي ولا سياسي، والكل تخفى وراء برادي الاصطفافات. هذا بالتالي ليس وسطية إنما تهرب من وقائع حقيقية. وإذا كان رأي جمهور كبير من الناس ورأي جمهور كبير من العرب ورأى جمهور دولي كبير يقول بأن هناك جهات سورية مُتَّهمة بدم الرئيس الحريري رحمه الله، وهناك على الأقل مبدأ التعامل مع الوقائع وليس مبدأ التحدي، لماذا تأتي وتقول أحيِّي سوريا قيادة وشعباً غير جيد، هذا موقفك، ولكن اسمحوا لنا أن نرفع دمه عن الأرض ثم نرجع إلى موقفك ولماذا تقسم البلد إلى قسمين .

وإذا كان القصد من اغتيال الحريري تقسيم البلد بالمعنى السياسي فأنت كيف تستفيد من هذا التقسيم؟ لماذا تساعد؟ وما الفائدة من هذه المساعدة وما هي غايتها ؟ وما هي الغاية من زيادة الشرخ؟ مَن الظهير الآمن أو البيئة الصديقة ، كلنا ظهير آمن، وكل يوم سنكون ظهير آمن وبيئة صديقة ولكن بالنقاش على ما هو الصح والغلط ، وفيما يمكن أن نتحمله وبالعكس، ولا زلنا في لا دولة منذ ثلاثين سنة نتعرض لضربات في كل يوم، ولا أحد لديه همّ قيام دولة تحمي كل الناس، ولا تحمي تاريخ وتترك تاريخ ، ولا تقدم خدمات لتاريخ وتترك خدمات لتاريخ آخر. وأعيد القول ليس عندي جواب.

والسؤال أين الوسطية من مشروع بهذا الحجم يحقق هذا القدر من الانقسامات ؟؟؟

• • • • •
• • •
•